العلاقة الحميمة بين أهل البيت والصحابة رضوان الله عليهم وتعاونهم علي البرّ والتقوى

ــ مساهمات عليٍّ وبنيه في خلافة الخلفاء الثلاثة أنموذجا

بقلم/ عمر محمد لبطو

مـقـدمـــــة

لقد وصف الله الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم أشدّاء علي الكفار رحماء بينهم. والذين كانوا معه هم أتباعه الذين آمنوا به واتبعوا النور الذي أنزل معه، وهذا بلا شك يشمل المؤمنين من أقربائه وزوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين وهؤلاء هم أهل بيته، وكذلك الذين عايشوه مؤمنين به وهم أصحابه. فهذه شهادة الله لهم بالتراحم بينهم والرحمة فوق المحبة والمودة، كما امتن الله عليهم بأنه ألّف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا فلزم من هذا كله أن تكون العلاقة بينهم حميمة.

وللعلاقة الحميمة بين أهل البيت والصحابة مظاهر شتى منها الأخوة الإيمانية الصادقة والمصاهرات الكثيرة بينهم وتعاونهم فيما بينهم علي البرّ والتقوى والتواصي بالحق والتواصي بالصبر وغير ذلك من صفات الإيمان التي كانوا هم أحق بها وأهلها.

وظهر التعاون بينهم علي طاعة الله جليّا في مساهمات سيد أهل البيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومساعدته في إنجاح أعمال الخلافة التي قام بأعباءها الخلفاء الراشدون الثلاثة قبله أبوبكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وكذلك بنيه من بعده الحسن والحسين سبطي رسول الله وريحانتيه رضي الله عنهما. إن ما قام به علي وبنوه في عهد الخلفاء الثلاثة من النصح لهم والطاعة لهم في المعروف والجهاد تحت رايتهم والدفاع عن أشخاصهم وأعراضهم والذود عنهم وما بذله الخلفاء الثلاثة من الإحترام والتبجيل لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بينوه من تقديمهم وإيثارهم علي غيرهم لدليل قاطع علي تربية هؤلاء الصفوة من الرعيل الأول علي يد خير مربّ والتزكية علي يدي خير مزكٍ، وهو مصداق لقول الله جل ثناؤه "لقد منّ الله علي المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين."[1]

فالصديق رضي الله عنه يوصي الناس بحفظ حقوق أهل البيت من المراعاة والإحترام والإكرام لهم، فيقول: "أرقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته".[2] وقد حقق وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل بيته. فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما بإسناد هما إلي أبي بكر رضي الله عنه أنه قال لعلي رضي الله

[1] سورة آل عمران: 164.

[2] صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عنه "والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليّ أن أصل من قرابتي".[3] وهذا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما – وهو من أفاضل أهل البيت – يقول: "وضع عمر علي سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل آخذ بمنكبي فإذا علي بن أبي طالب، فترحم علي عمر وقال: ما خلّفت أحدا أحب الي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت إني كنت كثيرا أسمع النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكروعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر".[4]

إن فضل آل بيت النبوة وفضل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسموّ أخلاقهم ولاسيما في مجال الألفة والمحبة وما كان يكنُّ بعضهم لبعض من المحبة الصادقة والمودة الصافية لا يحتاج إلي إثبات أو برهان، ويكفيهم في ذلك شهادة الله لهم وثناء النبي عليهم مما هو مبثوث ومبعثر في سور القرآن وصحيح الآثار وما أثر عن سلف هذه الأمة من مناقبهم ومآثرهم وسيرتهم العطرة مما جعلهم بحق القدوة الحسنة لهذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم.

إن العلاقة بين الصحابة وبين أهل البيت هي علاقة قائمة على المودة والمحبة، ومعرفتنا الأكيدة بورع الطرفين وتمسكهم الصارم بالعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم تمنعهم من الانحراف عن هذا المنهج الثابت، وتمنعهم من الانجراف عنه تبعا لمصالح أو منافع دنيوية ضيقة ولا سيما أن أبرز رموز الطرفين كانوا من كبار الزهاد الذين لم يغتروا بزخرف الحياة الدنيا وزينتها. وهذا يؤكد أن أغلب المرويات التي حاول بعضهم الاستدلال بها على سوء العلاقة بين الطرفين موضوع أو ضعيف أو معارض بالصحيح الثابت من الكتاب والسنة.

وفي الأسطر التالية محاولة متواضعة لعرض جانب من جوانب تلك العلاقة الطيبة الحميمة كنموذج لما كان بين الطرفين من صور التعاون على البر والتقوى وهو مساهمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبنيه الحسن والحسين رضي الله عنهم في خلافة الخلفاء الثلاثة رضوان الله عليهم.

مساهمات علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خلافة الخلفاء الثلاثة

لقد قدّم علي رضي الله عنه مساهمات عظيمة في خلافة الخلفاء الثلاثة قبله: أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم. فما من إنجاز هام تمّ في عهد هم إلا ويحمل بسمات أبي تراب واضحة ومشرقة. كان علي عضوا مهما في المجلس التنفيذي لدى كل منهم كما كان من كبار مستشاريهم. ففي عهد عمر وعثمان كان هو رجل الدولة الثاني دون منازع. وإن كان عثمان مقدما عليه في زمن عمر إلا أنه كان مقربا إلي الخليفة أكثر بحكم تجانس طبيعة الرجلين؛ فإن كلا منهما كان صارما قويّ الشخصية. وهذا التجانس في الطبيعة والشخصية أكسب الرجلين تقاربا خاصا بحيث لم يكن عمر يبتّ برأي في مهمات الأمور قبل أن يستشير عليا الذي كان يشير عليه بغاية من النصح ودافع من الإخلاص.[5]

[3]صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا نورث ما تركناه صدقة".

[4]صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر.

[5]سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، علي محمد الصلابي، دار المعرفة، 1431 ، ص 129.

مساهمات علي بن أبي طالب في خلافة الصديق رضي الله عنه

كان علي رضي الله عنه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يباشر المهام ذات الطابع الفدائي كمبيته على فراش الرسول ليلة الهجرة وحمله الراية في غزوة خيبر.[6] واستمر في مباشرة هذه المهام في عهد الخليفة الأول الذي هو في الواقع استمرار واستكمال لعهد النبوة. فنراه مثلا في أول عهد الصديق عندما ارتدّ معظم العرب وأصبحت المدينة النبوية في خوف شديد بصفتها مقرّ الخلافة الجديدة، عندها نظم الصديق رضي الله عنه الحرس الذين يقومون على أنقاب المدينة ويبيتون حولها للدفاع عنها ضد أي غارة محتملة من قبل المرتدين. وقد عين على الحرس أمراءهم: علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم.[7] فكان علي ضمن من أسند إليهم هذه المهمة الخطيرة.

وطوال عهد الصديق رضي الله عنه الذي كثر فيه الخوف وعدم الاستقرار نتيجة للحروب التي حاضها الصحابة بقيادة أبي بكر رضي الله عنه ضدّ المرتدين ومانعي الزكاة، لعب علي رضي الله عنه دور "رجل المهمات الصعبة" الذي يصار إليه في الملمات. فكان من السواعد القوية الأمينة التي استعان بها الصديق للقضاء على الفتن والقلاقل التي أعقبت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. وهذا من آثار التربية الخاصة التي حذي بها أبو الحسنين رضي الله عنه حيث أنه نشأ في بيت النبوة وتربى على يد خير البرية. وكان الصديق رضي الله عنه على معرفة تامة بهذه الميزة التي كان يتمتع بها علي رضي الله عنه، فجعله على يمينه لا يقدم على شيء دون مشورته.

كان لعلي رضي الله عنه لدى الصحابة جميعا منزلة رفيعة وكانوا يحترمونه ويثقون به ويعرفون فيه الأمانة والورع والزهد. لذلك كان الخلفاء قبله يسندون اليه الأعمال التي تحتاج الى مثل هذه الصفات. ومن ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه جعله القاسم والمتولي في عهده على الخمس والفيء وكانت هذه الأموال بيد علي، ثم كانت بيد الحسن، ثم بيد الحسين، ثم الحسن بن الحسن ثم زيد بن الحسن رضي الله عنهم.[8]

لقد تبوأ أبو الحسن رضي الله عنه منزلة رفيعة في عهد الخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه، وقدم لدينه ولأمته خدمات جليلة تحت إمرته وقيادته، وساهم مساهمة عظيمة في إنجاح خلافته. وقد عرف أبو بكر لعلي رضي الله عنهما هذه المواقف والخدمات مما جعله يقدمه ويحترمه ويشكر له بجزيل العطايا والمنن،

وبالجملة، فقد كان التعاطف والتوادد والوئام التام بين علي و أبي بكر رضي الله عنهما عظيما، وكان علي رضي الله عنه يقبل الهدايا والتحف من أبي بكر، شأن المتحابّين المتساورين، كما قبل الصهباء الجارية التي سبيت في معركة عين التمر وولدت له عمر ورقية، وأيضا منحه الصديق خولة بنت جعفر بن قيس التي أسرت مع من أسر في موقعة اليمامة وولدت له أفضل أولاده بعد الحسن والحسين وهو محمد بن الحنفية، وكانت خولة من سبي بني حنيفة من أهل الردة وإليها نسب إبنها محمد بن الحنفية.[9]

---

[6] السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد الصلابي، دار المعرفة، 1431، ص 268 و 699.

[7] الخليفة الأول أبو بكر الصديق، علي محمد الصلابي، دار المعرفة، 1430، ص 176.

[8] خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي بن أبي طالب، علي محمد الصلابي، دار المعرفة، 1430، ص 89، 90.

[9] خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي، المصدر السابق، ص 89.

هذا بالإضافة إلى المصاهرات بين الصديق وأهل البيت، وتسمية أهل البيت بعض أبناءهم بإسم أبي بكر، فقد كانت صلة أبي بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعضاء أهل البيت صلة وديّة تقديرية تليق به وبهم، وكانت هذه المودة والثقة والمصاهرات متبادلة، فأم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنها كانت زوجة جد بني علي الحسن والحسين رضي الله عنهم، ومن أحب الناس إليه، بل أحبهم إليه على الإطلاق! وهذه حقيقة ثابتة بشهادة القرآن. ثم أسماء بنت عميس التي كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب شقيق علي، فمات عنها وتزوجها الصديق وولدت له ولدا سماه محمدا، ولما مات أبو بكر تزوجها علي بن أبي طالب فانتقلت إلى بيته مع إبنه الرضيع، محمد بن أبي بكر، فنشأ إبن الصديق على فراش أبي الحسنين وفي كفالته، ولازمه إبن العظيمين وبره ووفّى له وكان معه إلي حين خلافته فولاّه علي على مصر.

مساهمات علي رضي الله عنه في خلافة عمر

في خلافة عمر رضي الله عنه أصبح علي رضي الله عنه رجل الدولة الثاني دون منازع. لم يكن عندهم في ذلك العهد منصب "نائب الرئيس" إلا أن عليا كان يحتل منزلة أقرب ما تكون الى منزلة نائب الرئيس في عهد الفاروق. وقد كان ذلك نتيجة للعلاقة الحميمة والتفاهم التام وتناسج الطبيعة بين الرجلين، فقد كان كل منهما مهابا قوي الشخصية مندفع العزيمة لا تأخذه في الله لومة لائم.

كان علي رضي الله عنه المستشار الأول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان عمر يستشيره في الأمور كلها، صغيرها وكبيرها، وقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فتحت عاصمة الفرس المدائن، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم، وفي موضوع التقويم الهجري وغير ذلك من الأمور. وكان علي رضي الله عنه في كل هذا مستشارا أمينا لعمر ناصحا له خائفا عليه، وكان عمر يحب عليا وكانت بينهما محبة ومودة وثقة متبادلة.[10]

ومما يدل على ثقة الفاروق بعلي رضي الله عنهما أنه استخلفه على المدينة عندما خرج الي الشام لمصالحة أهل "إيلياء" واستسلام مدينة القدس منهم، وهذه أهم وأطول سفرة سافرها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب في عهده.[11]

كان عمر رضي الله عنه شديد الإكرام لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعرف من أمره أنه كان يؤثرهم علي أبنائه وأسرته، وسائر الأسر والقبائل. فعن أبي جعفر أنه لما أراد أن يفرض للناس بعد ما فتح الله عليه، جمع ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: ابدأ بنفسك، فقال: لا والله، بالأقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن بني هاشم رهط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفرض للعباس ثم لعلي، حتى والى بين خمس قبائل، حتى انتهى إلى بني عدي بن كعب فكتب: من شهد بدرا من بني هاشم، ثم من شهد بدرا من بني أمية بن عبد شمس، ثم الأقرب فالأقرب، ففرض الأعطيات لهم، وفرض للحسن والحسين لمكانهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم.[12]

[10]سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، علي محمد الصلابي، دار المعرفة، 1431، ص 129-130. ويراجع كتاب "خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي بن أبي طالب" لعلي محمد الصلابي، دار المعرفة، 1430، ص 101.

[11]سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للصلابي، ص 469.

[12]سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للصلابي، ص 129.

مساهمات علي بن أبي طالب في خلافة عثمان رضي الله عنه

في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه استمر علي رضي الله عنه على ما كان عليه زمن الخليفتين قبله من الأمانة والخدمة لأمته والنصيحة للخليفة الجديد. كان عضوا بارزا في مجلس الشورى في خلافة عثمان ومستشارا أمينا كما كان في عهد الصديق والفاروق، وكان لا يبرم أمر إلا بعد مشورته وأخذ الرأي عنه. وكان عثمان دائما يلجأ إليه في الملمات ويستعين به في مهام الأمور.

كانت الدولة الإسلامية في عهد ذي النورين قد اتسعت رقعتها وترامت أطرافها وكثر رعاياها، كما تنوعت العناصر المكونة للمجتمع الإسلامي. وهذا بطبيعة الحال زاد من أعباء وتكاليف إدارة الدولة مما جعل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه يحتاج إلى رجال أكفاء أمناء يساعدونه في إدارة شئون المسلمين والقيام بواجبه كأمير للمؤمنين. فكان علي رضي الله عنه في مقدمة هؤلاء الرجال.

كان علي رضي الله عنه دائم النشاط وافر الطاقة كثير القدرات العقلية والبدنية، لهذا كانت مساهماتة عظيمة في خدمة الإسلام والمسلمين، وفي إنجاح مهام الخلفاء على وجه الخصوص. وحتى بعد ما كبر وتقدمت به السنّ نراه يواصل نشاطه ويزامل مهامه دون كلل أو ملل. وظل يلعب دور "رجل المهمات الصعبة" حتى في شيخوخته. فعندما أطلت الفتنة برأسها في أواخر عهد عثمان وزحف الخوارج والغوغاء على المدينة وراموا خلع عثمان رضي الله عنه اختار الخليفة عليا رضي الله عنه ليرأس وفدا للمفاوضة مع المتمردين وإقناعهم بعدم جدوى طلباتهم. وتشير الروايات إلى أن عليا لما رآه المتمردون هابوه وتراجعوا عنه. وفي رواية أنهم لما عرض عليهم الصلح على كتاب الله شادُّوه وشادّهم مرتين أو ثلاثا، ثم قالوا: ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله، فقبلوا. فاصطلحوا على شروط ورجعوا.[13] وهذا يدل على ثقة عثمان بعلي كما يدل علي قُتُوّة علي حتى في شيخوخته.

وعندما رجع المتمردون وضربوا الحصار على دار عثمان رضي الله عنه أرسل علي ابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهما لحماية الخليفة والدفاع عنه ضد الغوغاء والخوارج. وقد دافع الإبنان البارّان بأبيهما عن الخليفة عثمان حتى جرح الحسن رضي الله عنه جرحا بليغا، وقد صحت الروايات أن الحسن حمل جريحا من الدار يوم الدار.[14] وقد كان علي عرض على الخليفة الدفاع عنه بكتيبة قوامها خمسمائة دارع. فأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن عليا أرسل إلى عثمان فقال: إن معي خمسمائة دارع، فأذن لي فأمنعك من القوم، فإنك لم تحدث شيئا يستحل به دمك، فقال: جزيت خيرا، ما أحب أن يهراق دم في سببي.[15]

هذه جوانب من سيرة علي رضي الله عنه مع إخوانه الخلفاء الثلاثة قبله أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم. وهي سيرة تدل على المحبة والمودة والعلاقة الحميمة المبنية على الأخوة الإيمانية الصادة والثقة المتبادلة والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والتواصي بالصبر. وتدل كذلك على المساهمات

[13]سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، علي محمد الصلابي، دار المعرفة، 1430، ص 386-387.
[14]سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عمان للصلابي، ص398، ويراجع خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي، ص .
[15]ذكره الدكتور الصلابي، المصدر السابق، ص 396.

العظيمة التي قدمها علي رضي الله عنه لإنجاح مهامّ الخلافة التي قام بأعباءها الخلفاء الثلاثة قبله رضي الله عنهم.

الحسن والحسين في عهد أبي بكر وعمر

يمكن القول إن عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كان بالنسبة للحسن والحسين زمن طفولة ونموّ وتكوين، فعند ما توفي الصديق رضي الله عنه سنة ثلاث عشرة للهجرة كان الحسن رضي الله عنه لا تتجاوز سنه العشر، أما الحسين فكان يناهز الثمانية من عُمره، ولم يبلغا سن الرُّشد إلا في أواخر عهد عمر. والصبيان في مثل هذه السنّ، وإن كانوا من ذوي الجاه والشرف، لا ينتظر منهم أثر يذكر في حياة الناس بله الأمة. ولذلك نقول: إن كان للحسن والحسين مساهمات في عهد أبي بكر وعمر فهي بلا شك جد محدودة.

إن الحسن والحسين على عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهم كانا في طور التأثر ولم يكونا في دور التأثير والعطاء، إنهما كانا في طور التعليم والتحصيل ولا بد أن يكونا تعلما وتأثرا كثيرا في هذا العهد. ولا بد أن يكون الشيخان من الذين تعلم منهم وتأثر بهم الصبيّان النبيهان، ولا بد أن يكونا استفادا منهما كثيرا بحكم مخالطتهما لهما على مختلف المستويات، وخصوصا المستوى العائلي والأسري، فإن أبا بكر وعمر كلاهما له بنت في دار جدّ الحسن والحسين، وهذا يجعل عائلة الصديق والفاروق شديدة المخالطة بالأسرة النبوية الشريفة. وفوق ذلك فقد كانت أخت الحسنين أم كلثوم بنت فاطمة رضي الله عنها متزوجة بالفاروق وهي في بيته. وهذا مما يزيد من تداخل العائلات الثلاثة المباركة وتردد الحسن والحسين بينها. أضف إلى ذلك أن الشيخين يكثر ذكرهما ورؤيتهما في المسجد وبحكم ملازمة عليّ لهما فلا بد أن يكون الصبيان المباركان كانا يريانهما مع أبيهما. كل هذا يجعل الحسن والحسين رضي الله عنهما يكبران ويترعرعان وفي نفسيهما صورة واضحة لمكان الشيخين ومكانتهما في مجتمع المدينة.

ومما يجب التنبيه عليه أن أبا بكر وعمر كانا يهتمان بأمر الحسن والحسين إهتماما بالغا ويرفعان من شأنهما فوق سائر الصبيان، وفوق بنيهما أيضا، لقربهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحبه الشديد لهما مما لم يكن يخفى على الشيخين. روى البخاري أن أبا بكر بينما كان هو وعلي يمضيان بعد صلاة العصر فرأى أبو بكر الحسن يلعب مع الغلمان، فأخذه أبو بكر فحمله على عنقه وجعل يقول:

بـأبـي شـبـيه بالـنّـبي لـيس شـبـيـها بـعـلي

وعلي يبتسم.[16] وجاء فيما رواه الحسن بن علي رضي الله عنه: إن عمر قال لي ذات يوم: إي بني لو جعلت تأتينا وتغشانا؟ فجئت يوما وهو خالٍ بمعاوية، وابن عمر بالباب لم يؤذن له، فرجعت فلقيني بعد فقال: يا بني لم أرك تأتينا؟ قلت: جئت وأنت خال بمعاوية فرأيت ابن عمر رجع فرجعت، فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر، إنما أنبت في رؤوسنا ما ترى: الله ثم أنتم، ووضع يده على رأسه.[17] فهذه الروايات ومثلها كثير تدل على إهتمام الشيخين بالحسنين وإحترامهما لهما وإيثارهما على سائر الصبيان والغلمان ممن هم في مثل سنّهما.

[16]الدكتور الصلابي، خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي، ص 81.
[17]أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415، ج 1 ص 133.

وقد تأثر الحسن والحسين رضي الله عنهما بالشيخين رضي الله عنهما نتيجة هذا الإختلاط وذاك الإهتمام، حتى سمى كل منهما ابنيه بإسمي الخليفتين، فسمى الحسن رضي الله عنه ابنين له باسم أبي بكر وعمر وكذلك الحسين رضي الله عنه سمى ابنين له باسم أبي بكر وعمر.[18]

مساهمات الحسن والحسين في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه

عندما تولى عثمان رضي الله عنه الخلافة كان الحسن في الثانية والعشرين من عمره وكان الحسين في العشرين. وهذا يعني أنهما وإن بلغا سنّ الرشد إلا أنهما لم يبلغا سنّ النضج.

في عهد الخلافة الراشدة كان الشباب من صغار الصحابة وأبناء الصحابة يقضون جُلّ أوقاتهم في تعلم العلم والعبادة والجهاد. وهذا كان له أوفر نصيب من أوقات سيدي شباب أهل الجنة. فلما رفع عثمان رضي الله عنه راية الجهاد لمواصلة حركة الفتوح التي ورثها عن الخليفتين قبله، تسابق فتيان الصحابة وأبناء الصحابة من المهاجرين والأنصار لتلبية نداء الجهاد. وكان الحسن والحسين رضي الله عنهما في طليعة من لبّى لهذا النداء.

فمثلا عندما كانت غزوة طبرستان سنة ثلاثين خرج الحسن والحسين رضي الله عنهما في عدد من شباب الصحابة منهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم. وتحرك الجيش تحت قيادة سعيد بن العاص رضي الله عنه من الكوفة، ومرّ في طريقه بمدينة قميس ثم أتى طميسة من طبرستان جرجان، وهي مدينة على ساحل البحر، فاشتبك المسلمون بعدوّهم وقاتلوا هم قتالا شديدا حتى اضطر المسلمون إلى صلاة الخوف من شدة القتال.[19] وفي هذه المعركة أظهر الحسن والحسين من فنون البطولة الحربية ما كان يليق بهم كحفيدي النبي صلى الله عليه وسلم وكابني فتى قريش علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وفي غزو إفريقية عندما أرسل عثمان رضي الله عنه جيش المسلمين بقيادة عبد الله بن سعد رضي الله عنه كان الحسن والحسين ممن خرج للجهاد. كان عبد الله بن سعد قد ولي مصر خلفا لعمرو بن العاص رضي الله عنه سنة 26 هجرية، فطفق يبعث جرائد الخيل كما كانوا يفعلون أيام عمرو بن العاص فيصيبون من أطراف إفريقية ويغنمون. وكانت جرائد الخيل تقصد إفريقية تمهيدا لفتحها، ومعرفة أوضاعها السياسية والعسكرية، فكان حال هذه الجرائد أشبه ما يكون بكتائب الإستطلاع التي تعتبر مقدمة الجيش وعيونه.[20]

فلما اجتمعت عند عبد الله بن سعد معلومات كافية عن إفريقية من ناحية مداخلها ومخارجها، وقوتها وعتادها، وموقعها الجغرافي الإستراتيجي، كتب حينئذ إلى الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه يخبره بهذه المعلومات المهمة عن إفريقية ويستأذنه بفتحها. فأجاب عثمان بعد ما استشار جمهور الصحابة فأشاروا عليه بفتحها. وقام رضي الله عنه بجمع المتطوعين وتجهيزهم وترحيلهم إلى مصر. وقد ظهر الاهتمام بأمر تلك الغزوة جليّا، ويتضح ذلك من الذين خرجوا إليها من كبار الصحابة من المهاجرين

[18] علاء الدين المعلّم، النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة، مؤسسة المختار، القاهرة، 1426، ص 251 و 264.
[19] سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، للدكتور الصلّابي، ص 172.
[20] سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، للصلاّبي، ص 205.

والأنصار وأبناءهم، ومن خيار شباب أهل البيت، وعلى رأسهم الحسن والحسين وابن عباس وابن جعفر، وغيرهم.

تحرك الجيش العرمرم من المدينة، وعندما وصل إلى مصر انضم إلى جيش عبد الله بن سعد، وواصل السير من الفسطاط يحترق الحدود المصرية اللّيبية، حتى إذا وصلوا إلى برقة انضم إليهم عقبة بن بافع الفهري رضي الله عنه ومن معه من المسلمين. وانطلقت الحملة المباركة نحو إفريقية، واجتازوا البراري والسهول، حتى وصلوا مدينة "سبيطلة" بأمان. وهناك التقى الجمعان: جيش المسلمين بقيادة عبد الله بن سعد وجيش "جرجير" حاكم إفريقية من قبل الرومان. كان جيش المسلمين يقدر بعشرين ألفا وكان تعداد جيش العدوّ مائة وعشرين ألفا.

ونشب القتال بين الفريقين، وذلك بعد مراسلة العدوّ وعرض الإسلام أو الجزية عليهم. فلما رفضوا تلك العروض وأصروا واستكبروا استكبارا قاتلهم المسلمون ولم يبالوا بكثرة عددهم وعتادهم. ونصرهم الله عليهم فهزموهم بإذن الله.[21] وبذلك تمّ تطهير هذه البلاد من الإستعمار الروماني ومن أدران الوثنية وبقايا الجاهلية. وقد ساهم الحسن والحسين في هذه الغزوة بما قدموا من أعمال بطولية، وكانت مشاركتهم في هذه الحرب تحت راية الخليفة الراشد عثمان بإذن من أبيهم علي رضي الله عنهم. فكان مثلا رائعا من أمثلة تعاون الصحابة وأهل البيت على ما يرضي الله ورسوله، وهو دليل على العلاقة الحميمة التي كانت بينهم.

خـاتـمــة نسأل الله حسنها

وبعد، فهذه أمثلة من جوانب تعاون الصحابة وأهل البيت على البرّ والتقوى، وهي تجسد مساهمات أهل البيت وعلى رأسهم علي وبنوه في خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم أجمعين. وهذه المساهمات دليل قاطع على العلاقة الحميمة التي كانت بين الفريقين، وعلى المحبة الصادقة والمودة الصافية التي كانت بينهم، وعلى الثقة المتبادلة بينهم.

فعلي رضي الله عنه كان معترفا بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان وبفضلهم وإمامتهم في الدين. وكان يصلي خلفهم ويحضر مجالسهم للشورى، كما كان يتولى أعمالهم ويقبل هداياهم، وقد كانت بينه وبين عمر مصاهرة. والحسن والحسين رضي الله عنهما قد قاتلا تحت راية عثمان بن عفان غير مرة، وكان ذلك بإذن من أبيهما ورضى منه. وكان الخلفاء الثلاثة يُقرّون بفضل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا سيما علي وبنوه، ويحترمونهم ويقدمونهم على غيرهم، كما كان عمر رضي الله عنه يؤثرهم في العطاء كما ألحق الحسن والحسين بأهل بدر لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكل ذلك نتيجة لتربية الرسول صلى الله عليه وسلم للفريقين وتزكيته لهم، ومصداقا لقول الله تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس."

[21] سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ص 207.

السيرة الذاتية للكاتب

الإسم: عمر محمد لبطو

ولد عام 1960 للميلاد

حصل علي الدكتوراه عام 1996 من جامعة عثمان بن فودي بصكتو، نيجيريا

عمل محاضرا في الجامعات الآتي ذكرها:

1. جامعة عثمان بن فودي بصكتو، نيجيريا
2. الجامعة الإسلامية في أوغندا، جمهورية أوغندا، شرق إفريقيا
3. جامعة القلم في كشنه، نيجيريا
4. جامعة ولاية كادونا، كادونا، نيجيريا
5. جامعة الشمال الشرقي بمدينة كانو، نيجيريا

تولى مناصب جامعية منها:

1. عميد كلية الآداب، الجامعة الإسلامية في أوغندا 2000-2002
2. مدير جامعة القلم، كشنة 2007-2009
3. عميد كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الشمال الشرقي 2013-2017

التخصص: الكاتب متخصص في السياسة الشرعية والتاريخ الإسلامي والفرق الإسلامية

ولاسيما الشيعة منها، وله كتب عن فرقة الشيعة باللّغات العربية والإنجليزية والهوسا